النتاج الجديد

اعناق الجياد النافرة

ديوان للشاعر فواز عيد

منشورات دار الآداب ، بيروت ١٤٨ ص

* * *

لعل الحزن هو السمة الاساسية البارزة في ديوان الشاعر الطليعي « فواز عيد » « اعناق الجياد النافرة » . واذا قلنا الحزن ، فليس معنى هذا انه الحزن المدمر المتبسط . ولكنه في الحقيقة حزن من نوع جديد ، حزن انضجته نار التجربة القاسية والمعاناة الحقة . في أتون العبقرية الخلاقة . انه الحزن الذي يتسرب الى داخل النفس الانسانية دون استئذان فيستحوذ عليها حتى الاعماق ، ويهزها من الجذور .. ينكأ جراحها بلطف ومهارة دون ان يدميها ، وما ذلك الا لانه يتسلل في حنايا باناة وتؤدة كما تتسلل خيوط الفجر الى اعماق الظلمة . انه الحزن المهذب البناء الذي لا يؤذي النفس المرهفة بمقدار ما يجعلها تتوهج بالم مبدع خلاق .

واذا رحنا نفتش عن اسباب هذا الحزن العذب ودواعيه ، نجد فوازا يرى الحزن في كل شيء في السفر والترحال وفي العودة ، في القطار الذي يودع المحطة وفي القطار الآيب ، في الحقيبة على الرصيف ، في منديل يلوح لوداع .. في وجه امه وعلى اساريره الاطفال ، في محيا حبيبته التي تمر على سرير الريح ، او حبيبته التي يفتش عنها في كل مكان ، ولا يجد لها اثرا .

واذ نعجب نتساءل .. لم كل هذا الحزن عند هذا الشاعر الشاب؟ هل يعود ذلك الى سوداوية في المزاج تسيطر عليه؟ ام هو من جراء سوء تكيف يتردى فيه ؟ هل هو من جراء تلقي الاحباط تلو الاحباط ؟ ام انه رد فعل لهموم شخصية ؟

ان من يعرف « فوازا » معرفة شخصية يقول : لا هذا ولا ذاك ، اذ ان حزن « فواز » اعمق من ان يكون سوداوية او احباطا او رد فعل منعكس بسيط ، انه الحزن الذي تسببه الرؤية الواضحة ، لهذه الذات الخصبة .

ففواز في الحقيقة انسان ولكن من طينة عجيبة ، فهو لا يرى بعينيه بمقدار ما يرى ببصيرته المتعثرة .

انه طفل كبير يحس الاشياء وينفعل بها انفعال الاطفال ، بكل براءتهم وعفويتهم ، انه طفل يحمل كل هموم الاطفال ، الى جانب ما يحمله من فكر مبدع وخيال مجنح . وذات خصبة مليئة .. يمتح منها ما شاء له من صنوف الاحساسات الرائعة ، وبصيرة متعثرة ، يستشف بها الغيب ، ويفتح مغاليق المجهول ، فيشعر لذلك بتلك الاحساسات الرهيبة التي تدمي فؤاده وتبكيه .

والحزن عنده قد لا يكون بكاء ونحيبا وانطواء بمقدار ما يكون ضحكا وقهقهة ولا مبالاة تحمل كل معاني الحزن والاسى والحسرة وصحة الادراك وعمقه .

امي تقول كبرت عن احزانك الاولى
فاضحك للقطار الآيب .

اي ضحك هو هذا الضحك ، الا يدل ذلك على عمق احساسه بما هو آت ، الا يستشف الغيب .. اليس معنى ضحكه انه يقول لامه : رويدك يا أماه ان الحزن الكبير آت في قطار الحياة السريع الآيب ، وما احزاني الاولى بشيء امام هدير شلال الحياة القادمة .

ونظرة سريعة نلقيها على ديوانه الرائع الثاني « اعناق الجياد النافرة » تجعلنا نقر بالحزن والمشاركة الوجدانية ، فمسحة الحزن موزعة في معظم قصائده تستبطنها كما تستبطن الاعصاب الجسد الحي .

واذا كان الحزن هو السمة الاساسية في الديوان ، فاجمل انواع هذا الحزن والطفه وارهفه ، هو ذلك الحزن الذي يسببه « الحب » . وقد يتساءل احدنا فيقول : وهل يسبب الحب حزنا مثيل هذا الحزن الجميل ؟ فنقول نعم : ان الحب عندما يكون دونما جدوى ، وعندما يلامس روح شاعر شفافة . وعندما يكون بلا امل وينتهي بالتالي الى الحرمان فلا شك انه يبعث الحزن وأي حزن .

وقصيدة « رواه الترمزي » مفموسة بهذا النوع من الحب الحزين ، الذي لا طائل تحته ، والذي لا يجر الا الارق والسهر والحمى وبالتالي الحزن والمرارة والاسى :

لخطوك اذ يرف الليل واحات
نسيج من نعاس النخل والاسفار والشجن
حديث البحر .. زرقته المذابة خبأته عن
الموانيء والشموس
عن انهمار الريح
والاسماء
عن بحارة السفن
حديث الرمل والتيه
رواه الترمذي .. ودلسوا فيه
وواحة موجع حتى العروق « انا »
وقفت عليه ابكيه .

الا يحق للشاعر ان يكون « واحة موجع حتى العروق » عندما يختلق الناس جميعهم من حوله الاقاصيص عن حبه وهو لا يدري .. عندما يدلسون في الاحاديث ويشيعونها بينهم قصص حب كاذبة .. يتمنى الشاعر لو كانت صحيحة ..

واذا كان الحب داعيا من دواعي الحزن ، فهل هو وحده الذي يسبب كل ذلك الحزن ؟ لا .

ان الاحساس بالغربة والعبث والضياع والخوف من المستقبل الخبيء ، وبالتالي الرهبة من الموت والفناء ، هي كلها ينابيع ثرة يرضع منها حزن فواز .

فشاعرنا حزين لانه غريب ، ولكن ما نوع هذه الغربة ، ما كنهها ؟ ما اسبابها ؟

فاذا مضينا نتقصى الاسباب تلك ، نجد ان غربة « فواز » هي غربة روحية اكثر من كونها غربة جسدية ، هو غريب في « عفرين » في حلب ، في دمشق ، في جدة ، وفي الرياض ، غريب في كل مكان ، بين أهله وذويه ، بين اصدقائه ومحبيه .

والغربة الروحية تلك ـ تقلقه تهزه تبكيه ، فهو يتلقى الاحساس بالغربة بحساسية مرهفة ، ونفس هائمة عاشقة ، ولذا فهو يحس الغربة في كل شيء ، في حبيبته التي يتعشقها ، في السيجارة التي يدخنها ، في الشراب الذي يحتسيه ، في الثوب الذي يرتديه . يرى الغربة فوق حلمتي نهد ، وعلى شفتي زهرة ، وعلى ضفة ساقية ، وهو بالتالي غريب في الحلم وفي اليقظة فاسمعه يقول في قصيدته « ايلول الجامح » :

جواد جامح ايلول زعزع قامة الاشجار
واوصلني الى الابواب
لاسمع عند سور الشوك صوت أبي
وأمي والرفاق وضجة في الليل :
« من هو ذا ؟
فيفتح ههنا باب ويغلق ههنا باب
وصوت عبر وديان النحاس يصيح : اغراب

الا ترى معي انه غريب ايضا في حلمه .. عبر وديان النحاس .

وفي القصيدة نفسها يعود ينقل لنا صورة حزينة عن الغربة والبؤس والفقر والشقاء فيقول :

غريب ذاك .. ليس لديه من خبز ومن ماء
ومـن فخـار
وليس لديه ان مر الشتاء عليه موقد نار
ولا يرقى كما ترقين ـ ادراج المساء .
الى المصابيح الكسولة .. والحساء ـ يطل
مثل زرافة عرجاء ..

★★★

دعيه فليس للاغراب من حب ... ومن فخار
وودعها .. وخل بركبتيه ووجهه التعب
تلقفه صباح ممطر .. وقطار
ومرت في السماء وئيدة سحب .

وشعوره بالغربة ، يجعله يأسى لكل غريب ، وفـي قصيدته (دان دان) نجده يتألم لذلك الشيخ اليمني ، الذي جاء يطوف المدن السعودية ليلقي اغانيه الحزينة رغـــم شيخوخته ، وتشاء الصدف ان يلتقـــي الغريبان ، فيأسى كل منهما للاخر .

كان شيخا خلفه سبعون عاما وصحارى
وعلى الخصر نطاق
وعلى الساح تلوب القدمان
تخفق الراحة كالنسر على الاخرى
وتعدو الساق خلف الساق
يلتف ويستغطي اكف المنشدين
يتعرى راقصا من عمره السبعين .. يرفض
جبين بـارق
تبكي اذا اوجعه اللحن ـ شفاه
ويـدان

وفي المقطع الاخير من هذه القصيدة الرائعة والتي تعتبر بحق من اجمل الشعر الحديث على الاطلاق .. يوصلنا الى ذروة المأساة ، وينقل الينا الصورة الحزينة الرائعة التي تفرض علينا المشاركة :

آه هيـا
صرخ الشيخ وجارت راحتاه
نحر الكتف أخاه ... اصطفقت ايدي الرجال
فأجاب الليل اقواسا .. واجراس نجوم
وصحارى : آه .. آه
زرعوا الساحة اقداما حواليه
فماتت من نجيب قدماه .

ومرارة الغربة تلك ، تجره الى الشعور المدمر المفيت ، الشعـــور بالضياع والعبث واللاجدوى .. فيرى انه سدى يعيش في هذا العالـم الذي لا يقدر العباقرة حق قدرهم :

اضاعوني « أنا المجلود والجلاد »
انا السكين والجرح
انا الباكي على الاطلال والمبكي
زهور « الموصلان » أنا .. غناء المنشدين
بليلة العرس

اسيت من السؤال به تداويت
وانت حرارة الاجراس في الغابات
في المدن النحاسية
تسر لك الضفاف حكاية في القاع مطوية
انا ظما التراب وملحه ـ أنت الهوى
والشمس والاعياد
انا المجلود والجلاد .

والضياع ذاك ، يجعله يرفع الرايات السوداء .. رايات التشاؤم ويبارق الهزيمة :

رفعت بيارقي السوداء « يا .... »
وعدوت للريح
فرفتني الرياح لعتمة البيت ..
ونمت على الوساد .. فمات صيف الاغنيات
علـى اراجيحي .

وهكذا نراه يتنقل برابته الكسيحة من مكان الى مكان تحت شمس الضياع يجر اذيال الخيبة ، دون ان يرى بارقة امل واحدة :

آه عذرا .. ماتت النار وفي الموقد
ازهار رمـاد
وتطلعنا معا نحو السماء
لا نجـوم
آه .. وانهلت شرايين الشتاء

وتطول مسيرة الضياع تلـــك ، وتزداد سيطرة الكآبة علـى نفس الشاعر فتقوده عبر وديان الموت والفناء ، ويشعر بالقماءة واللاجدوى ، لا جدوى الحياة كلها ، فيبدأ يبحث عن حبيبته ، لا لتواسيه ، او تعيـد اليه الثقة بنفسه وبالعالم من حوله من جديد ، بل ليحفر واياها قبـرا بيدين من فرح ، لانه اختار الهرب بنفسه من هذا العالم الكئيب .

وقديمة امست اغانينا .. بقايا الريح
نحن مسافران
فمتى أراك متى ؟ وانت بلا مكان
تتقدمين معي .. ونحفر قبرنا بيدين من فرح
هرمت أنا وانت .. متى اراك متى
وانت بـلا مكان .

انه يستعل حفر القبر ، لانه يرى موته خلف كل تراع :

بغير وداع
اعانق موت احبابي ، وموتي خلف كل شراع
بغيـر وداع .

ولما كان لا يريد ان يحفر قبره وحيدا ، فهو يبدأ الان رحلة تفتيش عن حبيبته الضائعة والمرجوة .. التـــي اصبح الآن يريدها رفيقة فـي رحلة الموت الى العالم الآخر .. فنراه ينحدر الـى الجداول النحيلة ، وينام في الغابات فوق وسائد الورق .. ويطعم الوديان من صوته، ويلاقي الخريف ، ويسمع رنين اجراس الذهب كل ذلك في قصيدته الرائعة : « تشرين يمر » يقول :

أضعتك فانحدرت الى جداولي
النحيلة .. نمت في
الغابات فوق وسائد الورق
ولاقيت الخريف ببابه العالي
فاطعمني هواه .. واطعم الوديان من صوتي
وخلف معابر الغابات .. في العتمة
سمعت رنين اجراس من الذهب
وصوت حبيبتي تبكي .

ويحدق النظر فيرى ويا هول ما يرى :

لمحت حبيبتي في النعش .. مرت في سرير
الريح .. مدت وجهها نحوي .. رمت منديلها
مـرت .
ومرت خلفها السحب
بكيت .. بكيت .. بعت جوادي الاشقر .
وعدت أهيم في الطرقات

وهكذا يفر الامل الوحيد من يديه ، فيبيع جواده الاشقر ويعود الى الرجاء اليائس المرير :

لعل لعل من يدري ؟
وادري ـ والسحاب يعود ـ ان الليل

لي قبر واكفان .

واخيرا وبعد تطوافنا الطويل في احزان « فواز » الوجدانية ، الا يحق لنا ان نتساءل : اليس لهـــذا الشاعر احزان وطنية ومواجـــد قومية ؟

وجوابا على ذلك نقول : ان احزانـــه العريضة تلك ، وشعـــوره بالغربة المريرة ذاك .. يعودان بأصولهما الى كون هـذا الشاعر مشردا عن وطنه منذ طفولته الاولى ومنذ نعومة اظفاره ، ولذا فهو يشعر بفقدان الجذور وبالانقطاع عن التاريخ الشخصي ، ولكنه وان كان يبدو فـــي شعره يائسا حتى الاعماق ، الا ان التفاؤل كثيرا ما يعود ليظهر قويـــا بين السطور . ويعود الشاعر ليرى ببصيرته رماح الكلدان تنهض مـــن تلال الشفق المشرق ، لتستقبل بابل في المساء جواد فارسها «بختنصر» ومركبات السبايا ونمال الاسرى ، عملة الاسوار .. وان الامـــل المرتقب يجعله ينتظر « بختنصر » جديدا ، يعيد للامة نضارة تاريخها ، ويطهـــر « ارض كنعان » من دنس الصهاينة مرة ثانية :

بختنصر
عـاد حيـا
عاد مجنونا وشاعر
سامريات رأينه
كان فوق البرج رمحا .. خطوة .. خاطرة
وشي رداء
يقبض الريح .. ويختال على سور المساء
وتطلعن اليـه :
واقفا في منفذ الليل مليحا بيديه
ينهر الريح ـ اذا هبت فترتد اليه
وتطلعن اليـه .
الف طوبى للصفار
لا تخافوا .. لست ربا حاقدا
لا .. لست طينا
انا سيف كان مدفونا .. وعاد

انه مؤمن كل الايمان بقدر امته ، وبان هذه الامة الخالدة تلد كـل يوم الف « بختنصر » يحـــرز النصر ويعيد لها مكانها اللائق تحـــت الشمس .

ولذا نراه في قصيدته (الصبار) التي يهديها الى شعـراء الارض المحتلة . يؤكد ايمانه بزحف الشعب المقدس فيقول :

مـن أنتـم
غـربـاء
اعرفكـم
سدت طريق الريح اذرعكم
فزها الشقيق وجادت الامطار
خضراء عين صبية هتفت
تلد الرياح ويزحف الصبار

كما نراه ، في قصيدته (الميناء) يقدس الثبات ويحض على الصبر والمصابرة ، والمقاومة العنيدة . والاستشهاد فوق تربة الوطن ، وينفر من الهزيمة ، لان الهزيمة لا تعني الا الذل والضراعة والركوع لتجار الدقيق وباعـة الحمى :

وتزعم شيخة حدباء ان اباه
مات هناك وانطرحا
وعفر صدره وجبينه بالشمس
والتربـة
ولم يعرف مع الاغراب ما الغربة
ولم يسمع سعال الريح حين تجرجر الموتى
ولم يضرع الى أحد
ولم يركع لتجار الدقيق .. وباعة الحمى
لغانية تزين جيدها بقلائد الزبد
ومات هناك لم يجيء .

ذاك هو « فواز عيد » الصبابة الملتاعة ، والغربة الحزينة الكئيبة ، والشعور بالضياع والعبث واللاجدوى ، ثم الخوف من الموت والفناء .. كل تلك هي الينابيع الثرة التي ترفـد نهـر احزانه العميق ، فتجعلـه يضحك ضحكته التي تخبىء ما ينطوي عليه جانحاه من ألم ممض وكآبـة جارحة ..

وهو يسوق كل ذلك في ديباجة مشرقة وعفويـة بسيطـة وتدفـق حيوي خلاق ، وبصور متتابعة متلاحمة .. تأتي صورة في اثر صورة .. كشريط جميل .. ويا له من شريط .

واذا كنا في هذه العجالة لم نوف « فوازا » حقه ، فمـا ذلك الا لاننا عاجزون كل العجز عن تبيان كـــل مناحي عبقريته الخلاقة وذاتـه الخصبة ، ولكنها رغبة سيطرت علينا ولم نستطع لها كتمانا . فاوجزناها على هذا النحو .

فاذا ما قصرنا في الاجادة ، فقد كفانا نبل المقصد وسمو الغاية .. وتحيتي للشاعر الشاب الملهم .

دمشق

خليل خلايلي

الهوى وحديث العينين

شعر فؤاد الخشن

منشورات صحافيـا

في هذا الجو المشوش بمذاهب الادب ، وبخاصة ، بما يتعلق منـه بالشعر ... حيث أصبح الشعر انطلاقا ذاتيا مستقلا مـــن كل ذات ، وحيث شملت الفوضى هذا العالم الجميل الموزون الذي لم يبق جمـال الا فيه . وحيث شاء بعضهم اعطاءنا ما يسمونه ، بمصطلحهم ، شعرا ، وما هو ـ في الحقيقة ـ الا صندوق مقفل مـن رموز عمياء ، واشارات صماء ، لا تصلح للعقل ، ولا تصلح للشعور ، ولا تصلح لاية حاسة : الا انها نقرات ، مرة تطول ، ومرة تقصر ، وحينا تعصر ، وحينا تنعصر ، ولا يخرج منها مظلوما الا الشعر !

ومفهوم الشعر ـ عند هذه الجماعة ـ الا مفهوم له ، وليت هـــذا المفهوم قد اشتقوه من انفسهم ! اذا لهان الامر ...

ولكنهم مقلدون فيه لمدارس غربية تعاني ـ من التجارب ـ غير ما نعانيه ، ومزيفون لارادة غيرهم . وما قتل المقلد الا نفسه ، لانـــه مزور لنفسه ، منكرا لارادته ، مزيف لصوره والوانه .

وما أصدق ذلك الشاعر الذي عابوه مرة بانه يشرب خمرته بكاس صغيرة ، فقال :

ـ ولكني ، مع هذا ، اعتز بها لانها كاسي !

فمن هم اولئك الشعراء الذيـن يستطيعون بيننا ، اذا مـد بساط الشراب ، ان يقول الواحد منهم :

ـ هذه كاسي !

لقد مر على الشعر العربي اطوار كثيرة مـــن التجديد ، تقبلها ، وتمثلها ، حين الفاها من طبيعته ، اما ما كان خارجا عـن طبيعته فانـه ابتلعها ، لكنه مجها ، وقاءها ، وقذف بها ، وكان شانه معها شان مـــن يزرع له القلب الجديد ، فياباه جسمه !

وقد يطربني كثيرا ان أنفرد ، في بعض ساعاتي ، الى قراءة الشعر ،

والتروح بما يحملني اليه ، في عالم الصور والالحان ، بعيدا عن المنطقيات والعقلانيات التي كبلت الكثير من وجودنا ، وحاضرنا .

وكان من محاسن المصادفات ان وقعت على ديوان « الهوى وحديث العينين » للشاعر فؤاد الخشن الذي ينطق شعره عن حقيقة ، ما عدا خشونته ، فهو رقيق يتجافى الخشونة التي نعت بها !

وهذا الديوان الجديد هو خامس دواوين سابقة ، يصدر للشاعر الخشن ، في منشورات « صحافيا » .

وهو برغم تسميته بالهوى وحديث العينين يضم اربعة اقسام :

الهوى وحديث العينين
ازهار من الريف
اصداء وصور
واعاصير في الجراح .

وفي كل قسم لون طريف بصوره واتجاهاته ، حتى ليصدق فيه قوله « اصداء وصور » .

يستهل الشاعر ديوانه بهذه المقطوعة التي تشير الى قيمة كشف الانسان للانسان ، في هذا العالم المنزل !

« ما اجمل ان تنمو زهرة
في قلبك ! ان تهوى مرة
ان تصبح انسانا آخر !
ان تعبد انسانا آخر
ترشف ذهلا من شفتيه
وتضيع ... تغيب بعينيه ! »

انها المشاركة الوجدانية بين قلبين ، تؤول اخيرا الى الغياب ... الى الفناء ! حيث :

« هذي العيون الرحيبة !
بحار شوق عجيبة !
يلذ فيها الضياع
والتيه دون شراع ! »

وحين يتمنى الشاعر ، فماذا يتمنى ؟

« اود لو الملم الانداء
عن وردة عجيبة الصفاء
اغزلها ملاءة « رقيقة »
لعينك الحالمة الخضراء ! »

ويبدو ان هذا الحب الذي يتجلى في هذه الابيات هو الحب البسيط ، البعيد عن التكلف !

هو حب فتاة الريف ... فتاة الطبيعة التي لا تزال ملامحها طبيعية لم تشوهها الحضارة « وفي الريف حسن غير مجلوب » :

« يا حلوة في ريفنا !
لها تلوب المهج
ظلي لنا بساطة
يهل منها الارج
فانت حسن مهمل
يمضي به التبرج

وحين تتجدد الامنية ، في ارض نائية ، في غرناطة ، حيث تمتد جنة العريف ، لا يفكر الشاعر في جلال ذلك الماضي ، ولكنه يفكر في زاوية ، من زوايا هذه الجنة ، حيث يعيش ومحبوبته في غرفها الصغيرة الملونة ساعات قليلة ، ولكنه لا يلبث ان يهزه الماضي ، فيترنح على ذكراه :

« الى بقايا الق من مجدنا مرفرف
على مياه بركة في دارة الاسود
اود يا جميلة العينين لو نعود ! »

وعلى ذكر الريف ـ فليس الريف عند شاعرنا بزينة ظاهرة ، وانما هو يحيا في اعماق اعماقه ، ولا عجب في ذلك ، وشاعرنا هو ابن الريف الذي جلا عن ريفه لعوامل معاشية !

ولكن ذكرى هذا الريف العزيز لا تزال تعاوده ، تطل عليه ، تفتنه عن كل شيء ... « فتفاحته رعشة طيب بنفسه المغفرة ، وجارته ريفية حلوة في وجنتيها حمرة العافية ، حيث « ابقارها في الظل قد اغمضت عيونها مجترة شاهية » وهو ـ امام هذا المشهد ، انشودة ملهوفة صادية»

استرجع الماضي الجميل الذي يلوح في مرآتك الصافية
وصورة الطفل الذي خاض فيك حافيا ، مع طفلة حافية

انها لبساطة ، وسذاجة ! وهل الجمال الا وراء البسيط ؟ حيث لا تعقيد ، ولا رموز ؟

الا ما أضل اولئك الذين يظنون ان الجمال شيء كالحضارة ، كلما تعقدت وجب ان يعقد ، مع ان رسالة الجمال ان تجلو هذه الغمامة التي تنساح بأثقالها على النفوس .

والشاعر يتذكر بيته في الريف ، فيقول :

« لقد ابعدت عن ريفي صغيرا
لاحشر بين أسوار المدينة
واحرم نعمة الآفاق ظلها
وايحاء يسلسل في السكينة
واقضي الليل قيثارا حزينا
يقطر خلف غربته حنينة ! »

كثيرا ما تحدثوا عن شعر الغربة والضياع ، وعن المدينة التي تبتلع الريف ولا تهضمه ، وعن ضحايا تتساقط بين المدينة والريف .. والشاعر كان احدى هذه الضحايا :

على ان للريف عنده معنى آخر يسميه « رسالة التراب »

« ان شئتم الخلود
لذكر من اعطاكم الحياة
فاكملوا رسالتي
رسالة التراب ! »

واما قصة هجرته فيفضي بها لشاعر آخر ، كان ضحية مثله :

« انا مثلك المجهول اوما لي
خلف البحار ، وشاقني السفر
فكانه بقلوبنا ولـه
وكانه بدمائنا قدر
فمضيت ، والرغبات تحملني
ورجعت ، والاشواق تستعر »
« يظل ، مهما كاد كائدهم
بالحب والايمان ينتصر
كالنخلة الشماء ، ان رشقت
فعطاؤها للراشق الثمر »

ان هذا ، لهو السخاء ، وفوق السخاء !

والشاعر ، اذا وقف على اثر قديم ، لم يفتنه الفن عن حقيقته لانه يرى وراء ذلك الشعب المسروق ، وبذخ الطغاة المستبدين :

والشاعر يعبر عن فنه البسيط ، في مقطوعة يهديها الى شاعر : فهو يأبى ان يشرب الا خمرته التي عصرها بيديه ، واين هذا من اولئك الذين يشيدون ويسقطون ؟

« قلت عني
يا رفيق الحرف ، اني

لي في ابحر النـس شراع !
أعطني خمرة اعنابي .. دنا من بلادي !
وخذ الخل الغريبا
والشحوبا
أنت ، يا من ينشر الرعب خفافيش تلوب
ينشر الفم السرابي دخان
لولبا من غثيان
فانا في الريح باق ، صامد كالسنديان »

وفي نفس الشاعر نداء للسفر ... لماذا ؟ هـل هـو اكتشاف المجهول ؟ هل هو الهروب الذي يتصف به هذا الجيل ؟

« ما اعذب الشرود يا صديقي !
والتيه في كوكبنا الجميل !
فلنمسح الحبال من غبارها الثقيل
ولنترك الشراع للرياح
فقد مللنا صمتنا الطويل »
« لا تجهد نفسك يا صاح !
لن تبعث في نفسي الفرحا
وهنائي الطفلي المرحا ! »

والشاعر ، بعد ذلك ، الحان صادقة تصدر عـن قيثارة شعبه ، وانسانيته ... تدل على انه متأثر ـ كذلك ـ باحداث عصره ...
فهو يستفز شعبه الى اليقظة :

« حطم اصنامك يا شعبي !
أطرد تجارك من بيت الرب !
أطلع من اعماق الليل شموسك
يا فجرا فتح في الارض
جفن القمص »

وما اروع ما رسمه في مقطوعة « لوحتان » ! حيث نرى في اللوحة الاولى « ناسا في رحاب الهند ، يأكلون العشب ، ويحرقون السنـدل العطري ، لله نذورا ، ويبيعون اطفالهم ببعض مـن قروش ، ليعيشوا » وفي « اللوحة الثانية ، نرى منزلا شيد لكرام الهررة ، تحته اطفـال جياع يرتقبون النفايات البقايا » :

« ليت من ابطرهم فيض النعم
يذكـرون
أن في الارض أناسا يحلمون
بفتات من شهيات اللقم ! »

هل كان المنتهى الى اليأس ؟ هل ما يمني به هذا الجيل نفسه من غد يصنعه بيديه انما هو مجرد سأم ؟ أترى ، بعد هذه الظلمات ، لا يلوح فجر سعيد ؟
ذلك ما يؤمن به الشاعر :

« انا في لون الخريف الذهبـي
وارتجـاف الـورق المكتئـب
ابصـر الصحـو وشمسـا
تغدق التبـر ، وذوب اللهب » !

انها رحلة شعرية ، رافقت فيها الشاعر فؤاد الخشن ، في موكب رائع سمعنا فيه حديث العينين ، والتقطنا فيه صور الطبيعة ، ولمسنا فيه الجراح ..

وصافحنا فيه اطياف الهوى ، ان يكـون موكبه حافلا بكـل هذه الاشياء .

خليل الهنداوي

عـودة السنونو

مسرحيات بقلم قاسم حول

منشورات دار الكلمـة ـ ١٣٦ ص

في ـ عودة السنونو ـ تنبعث اغنية الليل الحزينة خلال مزمـار ذلك الراعي ـ قاسم حول ـ الذي تعب مبكرا عند اقرب مساء كئيب !.

ترى ما الذي يقوله طائر الجنوب المهاجر ـ كاتبنا ـ الى بغداد ، في الرحلة القصيرة الطويلة لمسرحه (الكراج الخامس ٩٦١ ، المدينـة المفقودة (الآداب) ٩٦٧ ، عودة السنونو ٩٦٩) .

اذا احتجت يوما لحياتي فتعال وخذها ! تقول ـ نينا ـ في طائـر البحر ، لتشيخوف . وبقدر ما كانت حياتها شابة وبيضاء بقـدر مـا اهدرتها توافه الاشياء ، وعلى طول هذه الرحلة ينظم قاسم حول اعمق الاشكال لارواح اكثر جمالا ، حينئذ يفتح الجحيم ابوابه البشعة كتلـك التي كانت تبرزها الكنيسة الاوروبية في مسارح اسبوع الآلام حـول ساحات المدن ابان القرون الوسطى ، حيث يبحر يوليسس ، ليس كما في الاسطورة اليونانية فهناك بحاربه اسدوا اليه خدمة جليلة عندمـا شدوه الى القلوع ، اما في شواطىء الساحرة البابلية فان بحارته اول من سعى الى هلاكه .

وحول هذه الاشياء زرع ميلر كلمة عند كونتين : لو كان هنـاك حب ! والواقع كانت هناك فقط عصبة المكارثيين ، والبحث خلف العيون وفي ذرات الدماء عن نور الشموع المتعبة . ثم ابحث على الطريق هـذا كونتين وشتاينبك قد سقطا ، وهذا الشهيد همنغواي !! .

لسنا نذهب بعيدا ، فكاتبنا يأتي بهذه المقابلـة العسيرة بموازاة خط الرحلة ـ انا وانتم ـ السمان في رحلة الشواطىء النائية وشباك الصيادين في انتظاره .

وهو كشف درامي كبير حقا ، فليس اكثر قوة اشعاع مـن لحظتي الميلاد والموت ، من سقوط الدمعة وانفراج الابتسامة ، وهو مسرح كما نرى لن نجد ذراته الصغيرة الواضحة ـ مهما بحثنا الا عند تشيخوف .

من هنا تنتظم انفاس عودة السنونو على ذلك الروح الخفي الـذي يقبع في الخلفية القريبة ، دائما في اعمال تشيخوف ، كالمياه الجوفية التي تمكن النبات من النمو لكنها لا تظهر فوق السطح .

فاذا تناولنا اقرب المحاور الامامية للمسرحية ـ ساهـر والاب ـ فسوف نلمس اغنى شخصيتين مسرحيتين عرفهمـا مسرحنا الواقعي الشعري حتى اليوم ، ربما اكتشفنا في الاول مشروعا للمستقبل وفـي الآخر هيكل البناء القديم ، لكن هذا لن يفضح لنا حقيقـة اعماق هاتين الشخصيتين الفريدتين ، ذلك ان الشخصية هنا وربما لاول مرة ايضـا في مسرحنا ، لم تعد ذات وجه وحيد وساذج ، بل اصبحت تكثيفا لمـا في خفايا هذا الواقع وما يقدمه في اعمق معطياته ، وبهذا وحده نسترد الواقعية قواها المسلوبة منها والتي اهدرت بفعل الجهـل والتسـرع والخوف من بساطة الجماهير ، فتزداد عمقا وتأثيرا .

اما على الورقة الجانبية (ساهر ومديحة) فـان كاتبنا يتجنب الوقوع في اسر ذلك النوع من الحب التعيس الذي كبل طائر البحـر عند تشيخوف والذي احسب انه كان يرسم على منوال دوستوفسكي في ـ مذلون مهانون ـ . على الضد من ذلك في السنونو تغتني اللمسات فتبلور رؤيا اكثر شمولا واعمق تطلعا ، « آني دا احس احنا مـن طبقتين تختلف » هنا يقدم الكاتب الحياة المدركة والفارقة في تعاستها ايضا .

فليست مديحة في حقيقتها الا شباكا اخرى تجهد في تكبيل هذا الطائر الذي يغني حزينا . اذن يقع رفضها في البدء برهانا اكيدا على روعة الهجرة وصلابة المهاجر .

قلب تموز ما زال ينبض ، ومن قال ان النبض توقف ، او كانت الهجرة لعشرات الاعوام على نزف غائرة جراحه ، من اجل التوقف عند اقرب محطة ، والسنونو يعرف ان سقوطه قريب الا انه لم يعدم رفع اعلامه الصغيرة وتثبيت بعضها قليلا من الوقت ، وكم كان الارتطام مروعا بالصخور الحادة لكنه وحده اعطى للهجرة روحها البطولية ، ولعل ذلك اوضح ما يقدمه عصرنا الى جانب عصر تشيخوف ، فقد نكون تعساء حقا ولكننا لا نجهل سبب تعاستنا ، ومن ثم فنحن لسنا في بئر اليأس ، بل في خضم البحر !.

جهد يوسف العاني في بذار مسرحنا اكثر من عشرين عاما في خلق هذا النوع من الدراما الهادئة العميقة الاغوار ، لكنه لم يفلح الا في النادر ، كبلته المباشرة والحماس المفرط ، ومع روعة واهمية ما خلقه لمسرحنا من شخصيات ، فانها غدت في طريقها الى الاندثار ، لعزوفه نفسه عن الاستمرار في تطويرها واعادة خلقها ، ولجهل الآخرين بهذه المدرسة الفريدة ، وانها لخسارة كبيرة وضربة قاتلة لمسرحنا لو فرطنا بهذه الحركة الدرامية التي انبثقت في اوسع التجمعات الجماهيرية فكانت اول ما شدها الى خشبة المسرح ، اما « عودة السنونو » فهي ليست عودة لهذه الدراما الشعبية فحسب بل تطويرا وتكثيفا يحملها الى اعماق شعبنا الفنان .

ساهر : مديحة لا تخليني اسافر واني متألم ، تره اني دا انمرد .
الاب : شنو الفايدة كسروهن للجناحات !.

وثمة قضايا هامة اخرى ، في التقنية ، تقدم السنونو فيها انجازات طيبة ، كخطوة الى امام ، فتقديم الشخصيات بتهيئة الاذهان باقصر الوسائل وابسطها ، وافتتاح الفصول وتكثيف الضوء الدرامي في مساحة محددة ، هي امور ما زالت تتمتع بحيوية كبيرة لاتمامها في كتاباتنا المسرحية ، فقد انهت الى الابد تلك الاساليب القصصية المتسربلة بثياب النقاش الفضفاض ، وما اصطلح عليه بالمقدمات والايضاحات والكشوفات الى آخر ما اقحمته المحاولات البدائية على مسرحنا ... فالسنونو حركة درامية بادئة ومتطورة ومنتهية باشد التكثيف وابسط الايحاء .

واحسب ايضا ان هذا المسرح الجديد القديم ذا النفس الرقيق الثائر يأتي طبيعيا الآن بعد تجاربنا السابقة المباشرة الهادرة ، وعلى النقد ان يحذر عند تناوله من نقطتين هامتين يثيرهما ضمن خصائصه الكثيرة ، اولاهما هذه البساطة عميقة الاغوار والتي قد يظنها البعض سذاجة نتيجة لتأثر هذا البعض بنماذج المسرح العالمي ... وثانيهما تلك الظلال المتشابكة والتي لا تسمح الابتيار خفيف ينساب في غاية الهدوء في خللها ليحكي تعاسة انساننا وآماله واحلامه . فقد يفرض كل ذلك على النقد في بلادنا التخلي عن الكثير مما اصطلح عليه الميزان الكلاسيكي .

فهنا لن نجد ما يرهبنا ولكن ما يصيبنا بالوجوم ! وحركة يد او همهمة شفاه قد تغنينا عن مطولات المنولوجات المعروفة .

هنا تصبح الدراما اغنية جماعية بسيطة وحزينة لكنها كبكاء ـ نينا ـ يخفف عنها بانتظار طائر جديد !.

علينا ان نحذر فهي بوادر ميلاد جديد يدل على وجود احياء في بلادنا حقا .

الآن اذا كانت ـ عودة السنونو ـ قد نشرت بداية الهجرة المشرقة ونهايتها المؤسفة ، فانها لم تختم نهائيا على التعاسة ، بل كل ما فعلته انها ارجأت الهجرة لوقت آخر .. وطالما تأخر تموز السياب في منحه لكن اطفال بابل العرايا ونساءها وفتيانها لن يكفوا عن الابتهال ، وها هو يجيء ... ولذلك كان بكاء السنونو وسهره ، فهو من دهشة السرور .

العراق ـ البصرة

بنيان صالح

رجل وامرأة

قصص بقلم رفيقة الطبيعة

منشورات دار الآداب ، الدار البيضاء

« رفيقة الطبيعة » هو الاسم الذي تعرف به الاديبة التونسية زينب فهمي . وكتابها « رجل وامرأة » مجموعتها القصصية الاولى التي قامت بطبعها ونشرها وتوزيعها « دار الكتاب » في الدار البيضاء . قدم للكتاب الاستاذ عبد الكريم غلاب تقديما قيما يتسم بعمق التحليل ونزاهة النقد ونفاذه ، ناهيك عما فيه من توجيه وتشجيع وارشاد وانتقاد أيضا . يستهل المقدمة بقوله « على الرغم من ان المدرسة فتحت ابوابها للفتاة المغربية منذ ما يقرب من ثلاثين سنة فان اللائي انجبن الادب قليلات » . ومن هؤلاء القليلات يذكر على سبيل المثال أربعا منهن صاحبة المجموعة التي نحن بصدد الحديث عنها . ومن المقدمة نفهم كذلك ان رفيقة الطبيعة دخلت ميدان الادب اول ما دخلته عن طريق جريدة « العلم » التي فتحت الصدر لمقالاتها وقصصها ، وان قصصها الجديدة هذه باكورة نتاجها الادبي .

وتضم مجموعتها اثنتين وعشرين قصة قصيرة تتراوح بين الخواطر والذكريات وبين الحوادث المستقاة من المجتمع المغربي ، الفقير والبائس منه بصورة خاصة ، البائس الى اقصى حدود البؤس . غير انه بين سائر شخصيات قصصها الشقية التاعسة تبرز اثنتان اكثر من غيرهما هما : المرأة والطفل ، الطفل بالدرجة الاولى ، لا بل الاطفال على الوجه الاعم . « لعل الخوف ولد معي . لعله راقد في طفولتي في شكل حادث لا اذكره » تقول في قصة « قدمان غريبتان » . والقصة الاولى « عقدة الليل » نموذج صارخ عن بؤس هؤلاء الاطفال . فالصبي هنا لا يستطيع ان ينجز تمارينه المدرسية لان كوخهم بلا نور ، واخوته يتشاجرون من أجل صور مطالعته .. ولا يقدر ان ينام بسبب من « لهاث أبويه وحركاتهما حدو الجدار » .. وحتى اذا نام اخوته الستة بجوار بعضهم البعض كما ترقد الاسماك في علبها المفلقة . ولذلك يلجئه البرد الذي اقتحم عظامه كالسم ، والعتمة ، الى الالتصاق ، بالفلط ، بالسمكة السابعة ، طفلة عمته ، التي اضيفت الليلة الى العلبة .. فتزعق الطفلة ويثور الوالد فيركله ويلقيه امام خليفة الحي وهو يصرخ كالمجنون « انه ليس ابني هذا الزنديق الفاسد ، اسجنوه » . وفي قصة « الامطار » التي تليها مباشرة ، الصبيان تلاميذ فقراء معدمون ، بلا أهل ، وهم بلا معاطف ومظلات في الشتاء ، واحيانا بلا بيوت وبلا أهل ، وهم ينامون في الصف ويدخنون ويتقيأون . والقصة الثالثة « من يرفض الحرية ؟ » تصور حياة أربعة اطفال يؤثرون حياة التشرد والعيش البوهيمي على البقاء في مدارس وبيوت لم يلاقوا فيها العطف والرعاية. وطبيعي وهذي حالهم ان يتعرضوا لشتى المكاره والمظالم .

وانطلاقا من هذه القصص الحزينة الثلاث التي ربما تعمدتها الكاتبة في البداية تسوقنا الى صميم الموضوع الذي هو علاقات الرجل بالمرأة وما ينجم عنها من زواج فاشل وخيانات زوجية وخطيئة واغتصاب وغيرها . ومن هنا كان موضوع الكتاب « رجل وامرأة » . ولذلك ايضا ستحفل المجموعة بصور النساء البائسات والاطفال البائسين نتيجة حتمية لتلك العلاقات المنحرفة . وشقاء الاطفال هنا ناجم دوما عن شقاء

والديهم بسبب من نقارهم وشجارهم وطلاقهم بعضهم لبعض . « من يحدد العلاقات البشرية ، تقول في قصة « الغرباء » ، أهو الدفء الذي يذبل في الشتاء ، أم العواطف التي تموت مثلنا ؟ أم هي روابط اجتماعية تفكها الليالي ويقتلها الروتين » . ولا عجب بعد ذلك اذا رفضت المرأة عندها الزواج او كرهته او تهيبته تهربا من انجاب اطفال يلاقون هذا المصير التاعس .

والمرأة بدورها شقية مظلومة تتحدى احيانا الزوج الظالم ، وفي اكثر الاحيان تستسلم لمصيرها وتستكين . ففي قصة « اظافر اللبوءة » تثور في البداية كاللبؤة ،ومثل ميديا يوريبيديس التي قتلت اولادها بيديها انتقاما من خيانة زوجها ، تثور وتريد ان تنتقم من زوجها ، من غريمتها « في نفسي ميل تقول لان اصرخ واقاطعك في تمثيلك .. واخطف منديلها منك ، وأدنيه من لهيب موقدي واذرو رماده في عينيك، لعلك تبصر ، واغسل جلدك في قدر ساخنة حتى أخلصه من عرقها » . الا ان هذا الميل يظل في النهاية حبيس نفسها ولا يخرج الى حيز التنفيذ لانها امرأة مغلوبة على امرها « اني فقط استطيع ان انتظر وطفلتي اعواما اخرى ، فكلانا امرأة بلا اظافر » .

وكذلك في قصة « عملية ابليس » الزوج يأتي مع رفاق له ببنات الهوى الى عقر داره وفي غفلة من عين الزوجة ، حتى اذا امسكته هذه بالجرم برر خيانته فوثقت به وعادت من جديد تضم اولادها الى صدرها. واذا شاءت المرأة عند أديبتنا ان تتحرر ، ان تجرب حريتها مع فتاها ، وجدت فيه انسانا عابثا لاهيا فعادت من تلقاء نفسها الى الكهل الذي يريد شراءها بالمال والى والدها لتعلن ساخرة : « الا يزيد هذا الكهل في مهري قليلا لاني عدت اليه سالما كما ذهبت » (قصة « ساخرة »).

وهكذا ثمة دوما انتظار واخلاص من جانبها هي ، واخلال بالموعد وخيانة فظة من جانبه ، انها دوما مهيضة الجناح ، مهضومة الحقوق الزوجية ومستسلمة لقدرها : « اتراهم خططوا في اللوح الهوائي الغوامض ان اولد امرأة واخرج من مملكتي » .

صحيح ان زينب فهمي تثور على هذه العلاقات الشاذة وتصور شقوة الاطفال والنساء ببراعة الفنان وريشته الساحرة ، ولكنها ثورة متخاذلة فاشلة وتصوير وافعي سلبي مما حدا بمقدم الكتاب الى القول: « ومع ذلك فاننا نطمع في ان تستغل الكاتبة عينيها المتفتحتين لترى الوجه المشرق من الحياة ولو كانت حياة نضال في سبيل الفضيلة وفي سبيل الحياة الاسعد » .

اما من حيث السرد والحبكة فكثيرا ما يشوبهما اللبس والغموض، فبينما تراها تتيه وتجعلنا نتيه معها في خواطرها وافكارها الشعرية ، وبينما نحس اننا اضعنا خيط القصة اذا به يلتمع فجأة امامنا في بعض الطريق فنلتفت الى الوراء لنعيد النظر في وجهة السير ، فنطمئن لسلامته . انها بحق شاعرة في نثرها ، تلملم خيوط الشعر لتضفر منها حزما مشرقة ، لكن لتؤلف منها قصصا كئيبة .

غير ان الذي يشفع بهذه المجموعة ويجعلها في طليعة النتاج القصصي في المغرب العربي وفي مشرقه هو أسلوب « رفيقة الطبيعة » الجديد الطريف ، هو شاعريتها المبدعة ، هو تعبيرها الموحي المشحون بالرؤى الرائعة والصور الفنية .

بيروت — **توما الخوري**

مجموعة ديوان العرب

تصدر باشراف لجنة من المحققين

صدر منها		ق. ل.
١	ديوان المتنبي	١٠٠٠
٢	« ابن الفارض	٥٠٠
٣	« عبيد بن الابرص	٤٠٠
٤	« امرىء القيس	٤٠٠
٥	« عنترة	٥٠٠
٦	« عبيد الله بن قيس الرقيات	٦٠٠
٧	« أبي فراس	٧٠٠
٨	« عامر بن الطفيل	٣٥٠
٩	« الخنساء	٣٥٠
١٠	« زهير بن أبي سلمى	٣٠٠
١١	« النابغة الذبياني	٣٥٠
١٢	« ابن زيدون	٦٠٠
١٣	« ابن حمديس	١٥٠٠
١٤	« جرير	١٠٠٠
١٥	شرح المعلقات السبع للزوزني	٣٠٠
١٦	سقط الزند لابي العلاء المعري	٦٠٠
١٧	اللزوميات لابي العلاء المعري جزآن	٢٥٠٠
١٨	ديوان الفرزدق جزآن	١٧٥٠
١٩	« الاعشى	٥٠٠
٢٠	« أوس بن حجر	٥٠٠
٢١	« جميل بثينة	٣٥٠
٢٢	« الشريف الرضي جزآن	٣٠٠٠
٢٣	« طرفة بن العبد	٢٥٠
٢٤	« عمر بن أبي ربيعة	٨٠٠
٢٥	« حسان بن ثابت الانصاري	٥٠٠
٢٦	« ابن المعتز	١٠٠٠
٢٧	« ابن خفاجة	٦٠٠
٢٨	« البحتري جزآن	٢٠٠٠
٢٩	« ترجمان الاشواق لابن العربي	٥٠٠
٣٠	« صفي الدين الحلي	١٧٥٠
٣١	« أبي نواس	١٥٠٠
٣٢	« حاتم الطائي	٢٥٠
٣٣	شرح ديوان المتنبي لليازجي جزآن	٢٠٠٠
٣٤	جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي	٧٠٠
٣٥	ديوان بهاء الدين زهير	٨٠٠
٣٦	ديوان أبي العتاهية	١٠٠٠
٣٧	ديوانا عروة بن الورد والسموأل	٣٠٠
٣٨	ديوان ابن هانىء الاندلسي	٨٠٠
٣٩	ديوان العباس بن الاحنف	٦٠٠
٤٠	ديوان لبيد بن ربيعة العامري	٥٠٠

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

بيروت ـ لبنان